The Phoneme and Its Impact on Meaning Variation in the Diwan of Al-Rusafi Al-Balansi

Shajan Ahmed Farhan[1] [1,2]Al-Farahidi University, Master's in Arabic Language, Linguistics, Baghdad, Iraq

Rana Sobhi Khalil[2] [1,2]Al-Farahidi University, Master's in Arabic Language, Linguistics, Baghdad, Iraq

ABSTRACT

The linguistic sound (phoneme) is the cornerstone of linguistic structure, as phonemes represent the smallest phonetic units that differentiate words and form meanings. Although a phoneme does not carry an independent meaning of its own, its alteration within a word can lead to a radical shift in significance, demonstrating the profound relationship between sound and meaning. From this perspective, the study of phonemes has become a fundamental issue in modern linguistics, particularly when applied to literature. This is especially true for poetry, which is the literary genre most reliant on phonetic resonance, rhythm, and intonation to construct meaning.

In light of this, this research investigates the phoneme and its impact on meaning variation in the poetry of Al-Rusafi Al-Balansi. It serves as a phonetic-semantic approach aimed at uncovering the role of phonemes in shaping poetic meaning—not merely through lexical denotation, but also through the aesthetic and suggestive impressions sounds leave on the recipient. The research adopts Al-Rusafi Al-Balansi's poetry as a field of application due to the poet's linguistic ingenuity and highly refined phonetic sensibilities. This mastery is evident in his exquisite word selection, employment of rhythm, and the deliberate repetition of consonants and vowels to serve the meaning and enrich the text.

Keywords: Phoneme, Semantic Variation, Al-Rusafi Al-Balansi.

الفونيم وأثره بتغيير المعنى في ديوان الرصافي البلنسي

م.م شجن احمد فرحان[1] م.م رنا صبحي خليل[2]
جامعة الفراهيدي/ ماجستير لغة عربية/ لغة[1,2]
[1]shjan.ahmed.farhan@uoalfarahidi.edu.iq
[2]rana.khalil@uoalfarahidi.edu.iq

المستخلص

يُعَدُّ الصوت اللغوي (الفونيم) حجر الأساس في البنية اللغوية، إذ تمثل الفونيمات الوحدات الصوتية الصغرى التي تتمايز بها الكلمات وتتشكل منها المعاني، ورغم أنّ الفونيم لا يحمل معنى مستقلًا، فإنّ اختلافه في الكلمة قد يؤدي إلى اختلاف جذري في دلالتها، مما يدل على العلاقة الوثيقة بين الصوت والمعنى. ومن هذا المنطلق، أصبحت دراسة الفونيمات من القضايا الجوهرية في علم اللغة الحديث، لاسيّما حين تقترن بالأدب، وبالأخص في الشعر، الذي يُعَدُّ أكثر الأجناس الأدبية اعتمادًا على الجرس الصوتي والإيقاع والتنغيم في بناء الدلالة.

وفي ضوء ذلك، يتناول هذا البحث موضوع الفونيم وأثره في تغيير المعنى في شعر الرصافي البلنسي، بوصفه مقاربة صوتية – دلالية تسعى إلى الكشف عن دور الفونيمات في تشكيل المعنى الشعري، لا من حيث الدلالة المعجمية فحسب، بل أيضًا من حيث الأثر الجمالي والإيحائي الذي تتركه الأصوات في نفس المتلقي. ويتخذ البحث من شعر الرصافي البلنسي ميدانًا للتطبيق؛ لما يتميز به هذا الشاعر من براعة لغوية وذائقة صوتية عالية، تتجلى في حسن اختيار الألفاظ، وتوظيف الإيقاع، وتكرار الحروف والصوائت بما يخدم المعنى ويُثري النص.

التمهيد

الفونيم في أي لغة من أهم الوسائل التي توضح المعاني وتكشف دلالة الكلمة أو الجملة وتعدد معانيها، وإنّ الفونيمات تساعد في تفسير الجمل تفسيراً صحيحاً، ودراسة الصوت وفروعهِ تعد مسألة مؤصلة في الدرس اللغوي، وإن نشأت هذه الدراسات الصوتية مختلطة بغيرها من الدراسات كالنحو والصرف والمعجم، لذا فإن الدراسات الصوتية قد وجدت في دراسة اللغويين متناثرة بين مؤلفاتهم فقد درس علماء العرب الصوت منفرداً ومنتظما مع غيره من خلال الظواهر الصوتية المختلفة.

قَدم الخليل بن أحمد(ت 170 ه) أَول تصنيف للأصوات اللغوية حسب موضع النَّطق، أو حسب الاحياز والمخارج، معتمدا على حسه الصوتي، فقسم الأصوات على هذا الأساس الى ما يعرف بهِ الان أصوات صامتة وأصوات صائتة[1]، وأثبت الغربيون إن الدرس الصوتي العربي قد سبق المحدثين بنتائج مهمة لا يمكن إغفالها، وقد أثبتت الدراسات اللغوية اهتمام علماء العرب بالدرس الصوتي فجاء تفكيرهم اللغوي العربي بالدراسة الصوتية أقرب إلى الدرس العلميّ، فقد أولوها اهتماما أقرب بالغاً [2]، ويرجع هذا الجهد العلمي الكبير، ما بدأ بمحاولة أبي الأسود الدؤلي في نقط إعراب ألفاظ القرآن بملاحظتهِ حركة الشفتين، وهذا يدل على معرفة تامة بالجهاز النطقي وأعضائهِ[3]، فقَّدم الخليل بن أحمد(ت 170 ه) أَول تصنيف للأصوات اللغوية حسب موضع النَّطق، أو حسب الاحياز والمخارج، معتمدا على حسه الصوتي، فقسم الأصوات على هذا الأساس الى ما يعرف بهِ الان أصوات صامتة وأصوات صائتة[4].

وواصل هذه الجهود سيبويه (ت ١٨٠ هـ)، وابن جني (ت ٣٩٢هـ) الذي توقف عند جهاز النطق، وإن الصوت يصدر عن جهاز النطق الانساني، ويختلف عن سائر الأصوات التي تحدثها كائنات غير بشرية أو عن أدوات أخرى. فوصف هذا النوع من الأصوات باللغوي يجعله خاصا بالصوت الإنساني، لذا عُرف الصوت اللغوي بأنه "أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن تلك الأعضاء المسماة تجوزا أعضاء النطق"[5]، ويتطلب الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محددة، أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معينة محددة أيضا[6].

يُصنف علم الأصوات الى فروع متعددة بحسب مجموعة من المعايير:

أولا: بحسب مسيرة الأصوات في عملية إنتاج الكلام

يتفرع علم الأصوات على وفق هذا المعيار الى ثلاثة فروع[7]:

1- **علم الأصوات النطقي (الفسيولوجي):** يدرس الأصوات من جانبها النطقي أو الفسيولوجي المتمثّل في عملية النطق عند المتكلم، وموضوعات هذا العلم هي جهاز النطق البشري، ومخارج أصوات، وصفات الأصوات[8].
2- **علم الأصوات الفيزيائي (الأكوستيكي):** يدرس الأصوات من جانبها الفيزيائي أو الأكوستيكي المتمثل في الموجات الصوتية التي تنتقل وتنتشر في الهواء، أي إنه يبحث في الأصوات اللغة من حيث خصائصها المادية أو الفيزيائية عند انتقالها من فم المتكلم إلى أذن السامع، ويدرس هذا الفرع الذبذبات الصوتية وتحليلها من حيث القوة والضعف، وتحليل الموجات الصوتية من حيث الاتساع، موضوعات هذا العلم في (سعة الصوت) و (درجة الصوت) و(نوع الصوت)[9].
3- **علم الأصوات السمعي:** يبحث في جهاز السمع البشري وفي العملية السمعية وطريقة استقبال الأصوات اللغوية وإدراكها وتحويلها الى طاقة كهربائية ونقلها الى الدماغ عن طريق الأعصاب[10].

ثانيا: بحسب مادية الأصوات ووظائفها:

يتفرع علم الأصوات على وفق هذا المعيار إلى فرعين:

1- **علم الأصوات النطقي:** ويُسمى (الفوناتك) phonetics، وهو العلم الذي يدرس الأصوات اللغوية مجردة، من حيث انتاجها ومخارجها وصفاتها وانتقالاتها وأعضاء نطقها، وهو يهتم بالأصوات من جانبها الصوتي والبحث من دون النظر الى وظيفتها داخل التركيب وعلاقتها بالأصوات الأخرى[11].
2- **علم الأصوات الوظيفي**: ويُسمَّى (الفونولوجيا) phonology، وهو العلم الذي يدرس الأصوات اللغوية وظيفيا داخل تركيب لغة معينة من حيث خصائصها وصفاتها ووظائفها الدلالية، أي إنه يدرس قوانين التأثر والتأثير من الأصوات داخل التركيب، كالمخالفة والمماثلة والادغام وغيرها[12].

وإن علم الصوت هو الذي يدرس الأصوات اللغوية من حيث مخارجها وصفاتها، والبحث في طريقة نطقها، وانتقالها من فم المتكلم إلى أذن السامع عن طريق الهواء، واستقبالها في أذن لا السامع، ونتيجة لهذا التعدد في الجوانب التي يدرسها علم الصوت، تعددت فروعه بحسب أهدافها، حيث ألَمَّ بالجانب الفيزيائي والفسيولوجي لها، فسجل مصطلحاته الصوتية في رسالته الشهيرة (أسباب حدوث الحروف) إن المتكلم أثناء نطقه يصدر فونيمات تركيبية (الصوامت والصوائت) أصلها أصوات مفردة منعزلة؛ [13].

(1) العين: للخليل بن احمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط1، 1988 م 1 / 47.
(2) ينظر: دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة / صالح القرمادي، تونس، نشر الجامعة التونسية، ١٩٦١ م، ١٨.
(3) ينظر: بقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ٢١. وكتاب النقط، أبو عمرو الداني (عثمان بن سعيد) تحقيق / محمد أحمد دهمان، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٩٨٣م، ١.
(4) العين: للخليل بن احمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط1، 1988 م 1 / 47.
(5) مدخل الى علم اللغة، 85.
(6) المصدر نفسه، 85
(7) الخصائص: ابن جني، 100/2
(8) ينظر: المصدر نفسه.
(9) الخصائص: 101/2.
(10) دراسة الصوت اللغوي: احمد مختار عمر، 139.
(11) ينظر: المصدر نفسه، 140.
(12) مدخل الى علم اللغة، 20.
(13) مدخل الى علم اللغة، 21.

ولم يرد مصطلح الصوت عند الخليل، اذ استعمل مصطلح الحرف واراد بهِ الصوت مفرّقاً بين الحرف وصوته، وقال عند سؤال أصحابه: " كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في (لك) والكاف التي في (مالك) والباء التي في (ضرب)؟ فقيل له: نقول: باء كاف، فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف"[1].

ولو تتبعنا استعمال مصطلح الصوت عند القدماء، نجده قد استقر عند ابن جني، الذي فرق بينه وبين (الحرف) بقوله: "اعلم أنَّ الصوت عَرَضٌ يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيُسمى المقطع أينما عُرِضَ له حرفًا، ويختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها"[2].

اذن الصوت اللغوي هو أداء يؤديه المتكلم، أما الحرف فهو الرمز المكتوب الذي يشير الى الصوت، وبما أنَّ من خواص الرموز الاختصار لذلك فالحرف قد يدل على أكثر من صوت، كما هو الحال بحرف (الرّاء) الذي يشير الى صوتي الراء المفخمة عند النطق بلفظة (مريم) والراء المرققة عند النطق بلفظة (فرعون)، وكذلك حرف (اللام) بين الترقيق والتفخيم. فالحرف إذن رمز كتابي قد يضم في داخله أكثر من صوت[3].

مفهوم الفونيم:

ترجع نظريات الفونيم إلى ماضٍ تاريخي قديم، منذ إن اهتدى الإنسان إلى الكتابة الألفبائية التي لا ترمز للكتابة ككل ولا للمقطع إنما للأصوات التي تشكل الكلمات[4]، وإذا رجعنا إلى الألفبائية السنسكريتية نجدها في جملتها قد ترتكز على أساس فونيمي يرمز للوحدات، وليس للتنوعات الصوتية، ومثل هذا نجده في الألفبائية الإغريقية التي تتنوع فيها الفونيمات التركيبية خير تمثيل[5]، وتشمل هذه الطريقة الحديثة الجديدة ترجمة لتصورات ذهنية للأصوات التي تشمل الكلمات المتنوعة ومجموعات التحليلات بعد ذلك وتؤيد هذا الرأي وتؤكده[6].

فقد ظهرت بداياته في أوائل القرن الثامن عشر على يد رواد عاشوا في ذلك العصر وكان في مقدمتهم اللّغوي البولندي (جان بدوين دي كورتيناي)، الذي يعد المكتشف الأول للفونيم اللغوي[7]، "يعد أوّل من دعا إلى ضرورة التمييز بين الصوت الخام في الكلام ، أو بتعبير آخر بين ما يلفظه المُتَكَلِّمُ حقاً وشيء آخر هو الفونيم أي ما يظن المُتكلّم أنّه يلفظه والمستمع أنه يسمعه"[8].

وقد استخدم "الكلمة الروسية (fonema)، ونشر نظريته عام 1893م" [9]،

قد بعض المراجع أنّ أحد تلامذة بدوين دي كورتيناي هو كروسوفسكي " kruszweski هو أول من استعمل كلمةfonema)"[10].

أما أول من استخدم مصطلح فونيم phonem فقد كان دو فريشديز جينت " DefricheDesgenttes فقد اقترحه على الجمعية"[11].

اقتراح دوفريشد يزجينت " بالقبول وشرع في استخدام المصطلح الجديد ومنه انتقل المصطلح إلى فرديناند دو سوسير Ferdinand de Saussure مما ضمن له ذيوعاً في الحلقات اللسانية. فقد اكتسب هذا المصطلح الشهرة والسعة في الانتشار في أوساط اللسانيين في العقد الثاني من القرن العشرين وذلك بفضل استخدام سوسير له، وبعد أن أخذت أفكاره تحدث أثرها"[12]، ونظرًا إلى أن مفهوم الفونيم هو أحد المفاهيم الأساسية للسانيات.

الفونيم لغةً:

ظهر مصطلح الفونيم في عالم اللسانيات نتيجة الدراسات اللغوية العلمية، وتحليل مناهجها بدقة، بالإفادة من علم الأصوات التجريبي[13]، وعند اكتشاف الفونيم يقول احد العلماء " إن ذلك يعادل اكتشاف الطاقة النووية؛ لأن هذا الكشف في مجال علم اللغة ، أدّى إلى ثورة في التفكير اللغوي؛ كما أن كشف الطاقة النووية أدى إلى ثورة في العلوم التقنية"[14].

وإن علم الأصوات الوظيفي يقوم بدراسة الفروق بين الأصوات اللغوية، فيدرس الوحدات الأساسية للكلمة فيقوم بتحليلها وتحديد وحداتها الثانوية[15]،

كما إن الفونيم يعد "أصغر وحدة صوتية قادرة على تغيير المعني ولا تحمل معنى في حد ذاتها، وأمثلة الفونيمات كالتالي (س / م / و/ د /ج) و إذا تغير وضع الفونيمات في الكلمة فإن معني الكلمة يتغير، ويمكن التعرف على الفونيمات عن طريق الكلمات المتشابهة صوتيا في كل أجزائها ما عدا جزءاً واحداً مثل (دار- سار- جار- حار) ومن الملاحظ تغير المعنى في كل من هذه الكلمات بسبب تغير في فونيم واحد وهو الفونيم المشار أسفله"[16].

(1) اللغة العربية معناها ومبناها، 74.
(2) أساس علم اللغة، 52.
(3) ينظر: علم وظائف الأصوات، 73- 74.
(4) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٧ م، 167- 168.
(5) ينظر: البحث اللغوي عند الهنود، وأثره على اللغويين العرب، أحمد مختار عمر، دار الثقافة، بيروت، لبنان ١٩٧٢م، ص ٢٦ ــ ٢٧.
(6) ينظر: نظرية الفونيم نشأة وتطورًا، مجدي حسين أحمد شحادات، مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد السابع ٢٠١٦ م، ص 1421.
(7) المصدر نفسه، 128.
(8) مباحث في اللسانيات: أحمد حساني، 213.
(9) موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر. هـ. روبنز، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٧ م ،٢٩٢.
(10) اتجاهات البحث اللساني، ميلكا فيتش، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الثانية ٢٠٠٠ م ، ٢٣٣.
(11) موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر. هـ. روبنز، ترجمة: أحمد عوض، ٢٩٢.
(12) محاضرات في اللسانيات، فوزي حسن الشايب، 108.
(13) ينظر: علم اللسانيات الحديثة: د. عبد القادر عبد الجليل، عمان، دار صفاء للنشر،2002م، 303.
(14) دراسة الصوت اللغوي: احمد مختار عمر، ط2، القاهرة، 1978م، 139.
(15) علم اللغة: التمهيد في علم اللغة ودراسات صوتية: عبد الله بن الحميد سويد، عبد الله علي مصطفى، مراجعة سعدون السويح، طرابلس، ليبيا، دار المدينة القديمة للكتاب 1993م، 197.
(16) علم التجويد كمدخل وقائي وعلاجي لاضطرابات النطق والكلام (التخاطب) التلعثم نموذجاً : د. محمد محمود عبد العزيز النحاس، 15/1.

وقال سيبويه في كتابهِ "حرف أشبع الاعتماد في موضعه وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد فيه، وقد أورد سيبويه في تضاعيف كتابه مصطلحي الصوت موضعه"[1]، يتبين إن سيبويه لم يفرق بين المصطلحين (الصوت ـ الحرف)، وعند حديثهِ عن الحروف ارادَ إجمال الأصوات في اللغة العربية تصل الى تسعة وعشرون حرفاً[2].

وذكر ابن جني "اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا"[3]. هنا فرق بين الصوت والحرف، " واعلم أنّ هذه الحروف التسعة والعشرين قد تلحقها ستة أحرف تتفرع عنها حتى تكون خمسة وثلاثين حرفًا، وهذه الستة محسنة... وقد تلحق بعد ذلك ثمانية أحرف وهي حروف غير مستحسنة"[4]، وبهذا قد أوضح ابن جني استقلالية كل حرف اعتبره فونيماً مستقلاً بحاله بحيث يتغير موقعه من الكلمة[5].

نظريات الفونيم:

أختلف علماء اللغة اختلافاً كبيراً حول نظرية الفونيم فإن للعلماء معانٍ شتى حول كل نظرية واراء متباينة ومذاهب متعددة ومن أشهر هذه النظريات مايلي:

1- النظرية العقلية النفسية:

يرى أصحاب هذه النظرية إن الفونيم صوت واحد معتمدين على اراء العلماء واقوالهم في محاضرات علم اللغة " انه صوت له صورة ذهنية تجريدية، في استطاعة المتكلم أن يستحضرها في ذهنه، محاولاً أن ينطقها في الكلام الفعلي بدون شعور، لكنه قد ينجح في تحقيق هذه الصورة الذهنية فيعبر عنها بصوت حقيقي، وقد يخفق فيحاول أن يأتي بأقرب صوت إلى هذه الصورة، وإن لم يماثلها تمامًا"[6].

كان رائد هذه النظرية Baudouinde countenay الذي يفسر الفونيم تفسيراً نفسياً فصاحب اللغة يحفظ في ذهنه صورة لأصوات لغتهِ، وهو عندما ينطق صوت حرفٍ ما يحاول تغيير نبرة الصوت تكون مخالفة لما موجودة في عقلهِ، إذن انطباعاتهِ النفسية لها دور في الفونيم[7]، فهناك انتقادات كبيرة حول هذه النظرية بمعناه اللغوي يقوم بشرح مفرداته اللغوية على فرع آخر من العلم.

2- النظرية المادية:

كان من المؤمنين بهذه النظرية دي سوسير، ودانيال جونز، فيقول دي سوسير: " إن الفونيم عنصر صوتي في اللغة المنطوقة يقوم على أساسين: عضوي، وسمعي، مشيرا إلى أعضاء النطق وأعضاء السمع" [8].

ويعد العالم دانيال هو المفكر الأول في هذه النظرية، ورائدها، ويرى إن الفونيم أسرة من الأصوات متشابهة في خصائصها الفونيتيكية، موزعة توزيعاً صوتياً تكاملياً، أي لكل منهما سياقاً خاصاً لا يمكن أن يُستعمل آخر محله[9].

وإن هذه النظرية تتعامل مع المادة اللغوية أو الوحدات اللغوية الصوتية بانها شيء مادي محسوس سواء على النطق يدرك بالسمع أو الكتابة تدرك بالبصر بالعين المجردة إذن تخرج هذه النظرية على المستوى الذهني، فمثلاً " فونيم (النون) التي تكون مُظْهَرَةً في مواضع، ومخفاة في مواضع أخرى؛ فتظهر إذا وردت في الكلام قبل الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، ولتأخذ الرمز (ن)، وتكون مخفاة قبل الأصوات الخمسة عشر الآتية: التاء، الثاء، الجيم، الدال الذال الزاي، السين، الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الفاء، القاف، الكاف، ولنرمز لها بالرمز (ن) ، وهذه النون المظهرة، والمخفاة تنتميان إلى وحدة صوتية مميزة، هي فونيم النون/ن/بعامة" [10].

3- النظرية الوظيفية:

تتعدد الوظائف اللغوية تحت منطوق هذه النظرية، فبعض علماء هذه النظرية يرى إن الفونيم وظيفته كوحدة مناسبة للتعبير الالفبائي[11]، ووصف بعض علماء الكلام إنه أصوات كلامية قادر على التغيير الدلالي، إذن وظيفة هذه النظرية داخل التركيب اللغوي هي التمييز بين فونيمات الكلمات يعني التمييز بين الأصوات لمعرفة دلالاتهما، ويرونَ أن الفونيم له وظائف عدة منها إيجابية وهو تحديد معنى المفردة من خلال الفونيم، ووظيفة سلبية تقوم بالتمييز بين الفونيم لمعرفة المعنى، فالاولى مثل سار/ زار/ حار، اما الثانية فتكون في ادراك او ترجمة معاني المفردات sun * A near - An ear * flour - flower * town – down [12].

4- النظرية التجريدية:

رائد هذه النظرية العالم الأمريكي (توادل)، يرى إن الفونيمات " لا وجود له لا من الناحية العضوية، ولا من الناحية العقلية، وإنما هي وحدات تجريدية تخيلية مصطنعة .....الفونيمات مستقلة استقلالاً كاملاً، عن الخصائص الصوتية المرتبطة بها"[13].

وأساس هذه النظرية إن بعض الأصوات في اللغة العربية لها ملامح مشتركة تكون في صورة ذهنية أو انطباعاً أو صوتاً تجريدياً على المستوى الأول أما المستوى او التجريد الثاني، عندما يقوم الدارس باستخلاص مجموعة من الأصوات بشكل عائلة كاملة تسمى فونيمات[14]، فكانت

(1) الكتاب: سيبويه، تحقق: عب السلام هارون، مصر الجديدة، الهيئة العامة للكتب، 1975م، 4/ 435.
(2) ينظر: المصدر السابق، 1/ 431- 432.
(3) سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق / محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاته عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م، ١ / ٢٨.
(4) سر صناعة الإعراب: ابن جني، 1/ 59.
(5) علم اللسان العربي، عبد المجيد مجاهد، الشركة العربية المتحدة، القاهرة - مصر، ٢٠١٠م ٣٢.
(6) محاضرات في علم اللغة: 255.
(7) ينظر: الأصوات ووظائفها، 135.
(8) علم اللسانيات الحديثة: 307.
(9) ينظر: مدخل الى علم الأصوات، 63.
(10) نظرية الفونيم في اللغة: د. انتصار محمد الطياري، جامعة الزاوية، المجلد 2، أكتوبر- 2018م.
(11) دراسة الصوت اللغوي، ط3، 152.
(12) ينظر: نظرات في اللغة، 255.
(13) مدخل الى علم الأصوات، 62.
(14) علم اللسانيات الحديث، 305- 306.

انتقادات كبيرة حول هذه النظرية منهم من يقول حاولت أن تخرج من الإطار المعنوي المتعارف عليه، والتعامل مع الفونيم بنظرة تجريدية صرفة.

5- النظرية الاجتماعية:

يرى أصحاب هذه النظرية إن الفونيم وحدة صوتية ذات وظيفية اجتماعية، والفونيم يتكون من جزيئات صوتية تسمى ألفونات، او تنوعات فونيمية نلاحظها في صوت العين (عرف العالم العربي ضروب العلوم) تسمى صوت العين[1].

"ويعرف D.Bolinger الألوفون بأنه مظهر مادي متباين للفونيم"[2]. ويرى أنصار هذه النظرية قابلية الفونيم للتحليل، والتجزئة إلى وحدات ألوفونية، ويسمونه أيضا بالمتغير السياقي، وذلك لتحكم السياق الصوتي أثناء تيار الكلام فيه، أو المتغير غير الوظيفي؛ وذلك لعدم تأثيره في تيار المعنى [3]، وتحاول هذه النظرية إضفاء الصبغة الاجتماعية على الفونيم، وذلك بسبب تأثير دراسات علم الاجتماع اللغوي.

نماذج شعرية من ديوان البلنسي على الفونيم وأثره في تغيير المعنى:

بلنسية تلك الزَّبْرَجدَةُ التي تسيلُ عليها كل لؤلؤة نهرا[4]

يتفنن البلنسي في ابياته بالتنوع في الفونيمات الصوتية وتغيراتها وأثر هذا التغير على المعنى منها ما جاء في البيت أعلاه فونيم الضمة في لفظة (لؤلؤةُ) فالمعنى هنا كل لؤلؤة تصبح نهراً، هنا اعطى صورة شعرية قوية في تحول اللآلئ إلى أنهار فهنا يعكس خصوبة بلنسية وجمالها، إما عند قراءتنا لفظة لؤلؤةَ بالفتح فيفهم أن اللؤلؤة تسيل في النهر فهنا قلل من قوة الصورة المجازية.

دلالة البيت هنا وصف حين قام بذكر طبيعة الاندلس من ماء وخضار وانهار فذكر اول مدينة في الاندلس (بلنسية) مسقط رأسه فوصفها بأبهى الصفات معبر عن شوقه لها.

ولا كالرُّصَافَةِ مِنْ منزلٍ سقته السحائب صوب الولي[5]

جاء الفونيم هنا حرف الراء في الرصافة بالفتح وإن صوت الراء يتمتع بمجموعة من الميزات " فهو صوت رئوي، مستخرج، فموي، لثوي، مكرر أو لمسي، مجهور، مائع ذو وضوح صوتي"[6]، وهو ايضاً " صوت ينفرد بمجموعة من السمات النطقية التي تخفى على كثير من المثقفين وبعض المتخصصين، حيث يأتون بها على وجه غير صحيح من حيث التفخيم والترقيق"[7].

وإن معنى لفظة رصافة هنا ضفة النهر ولو استبدل حرف الراء بحرف اخر او حركة الفتح بحركة اخره لاختلف المعنى.

فتعددت اشكال فونيمات الراء حسب الأصوات المجاورة له، إضافة الى الحركات التي تسبقه او تأتي بعده، فعده الدكتور إبراهيم انيس صوت الراء" صوت الراء المفخم من الناحية الصوتية أحد أصوات الاطباق" [8]، وايده بذلك الدكتور" تفخيم الراء ليس فقط حين تقع بعد سواكن مفخمة، ولكن في جوار الفتحة والألف"[9].

سقى العهد من نجد معاهده بما يغار عليها الدمعُ أنْ تَشْرَبَ القَطْرَا[10]

يلاحظ في البيت الشعري ان الرصافي البلنسي كرر فونيم العين أربع مرات، فأعطى نغماً موسيقياً قوياً، عبر من خلالها الى حنينه الشديد والغربة التي يعيشها تجاه وطنه، وان حرف العين يمثل ايحاءات نفسية وارتباطات لا شعورية في نفسية الشاعر، فيوحي هذا الصوت مغزى نفسية من خلال صوته او شكله[11].

تَـزِيدُ به بِجَوَانِحِي القَـــادَاً إذَا زَادَتْ مَدَامِعِي انْسِكَابَا[12]

أستعمل الشاعر في الابيات الشعرية أعلاه أفعال زاد فيها الالف والتاء وإنَّ أي متغير في الفعل له سبب وغاية وله معنى ايضاً فمثلاً فعل (زادَ) يدل على فاعل واحد، في حين زاد الشاعر إلى بنية هذا الفعل تاء في اخره وألفاً في وسطه مرة، وحوله الى زمن اخر مرة أخرى، غيّر معنى الفعل[13].

فالتاء دلت على شدة التلاحم، والالف دلت على المشاركة والزيادة، وإن المعاني الواسعة يسميه المعاصرون (التصدير)، بتصدير صوت اللفظة (تزيد ــ زادت)، فالتاء تصدرت لتعطي معنى مضافاً إلى معنى الكلمة في البيت الشعري.

إما دلالة البيت فالشاعر استعملِ ألفاظ شجية تدل على حزنه العميق وإن له داء محمل في صدره فالدموع لا تخفف الألم بل تزيده.

(1) ينظر: علم اللسانيات الحديثة، 307.
(2) المصدر نفسه.
(3) ينظر: المصدر نفسه، 207– 308.
(4) ديوان البلنسي، 71.
(5) ديوان البلنسي، 118.
(6) فصول في علم الأصوات: محمد جواد النوري، 236.
(7) دراسات في علم اللغة: د. كمال بشر ، القاهرة دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998، 210.
(8) الأصوات اللغوية: 66.
(9) دراسة الصوت اللغوي، 326.
(10) ديوان البلنسي، 39
(11)- الجرس والايقاع في تعبير القران الكريم، د. كاصد الزيدي، 330.
(12) ديوان البلنسي، 44
(13) أوزان الفعل ومعانيها: هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب ــ النجف الاشرف، 2971م، 84.

تَقَضَّتْ حياةُ العيش إلا حُشَاشَة إذا سألت لقياكِ عَلَّلتها ذكـــرا[1]

نرى الرصافي البلنسي يشكو الدهر الذي ابعده عن موطنهِ، فيتذكر طبيعة اندلس وخصوصاً بلنسية ويصف لنا جمالها بالمياه الزرقاء والرياح والروض الساحرة والنسيم.

فالشاعر من خلال هذا الوصف الجميل ارادَ تبيين حزنه وشوقه الى وطنه، في تصويره الرائع، بتشوق الى طبيعة بلنسية الساحرة التي تُسلب الألباب، بتصدرهِ للفظة (تقضَّت) حرف التاء في الفعل هنا يدل على التوكيد والمشاركة، مصدره (تقضَّى) الوزن تفعَّل دلت بتنغيمها على مشاركة أثر من طرف في حدث واحد، وأشعرت الضاد بإطباقها[2]، فذكر ابن جني إن العرب جعلوا الصاد والضاد "لقوتها فيما يشاهد من الأفعال المتجشمة"[3].

فقد يتغير الفونيم بتجاوز بعض الحروف مع بعض، وهذا التجاوز يؤدي الى نغماً فيه دلالة، في أحوال مختلفة شديدة كانت أو سهلة فتدل على الشدة او الرخاء، فتغير الصاد حاء محدث قوة صوتية، لان الضاد والصاد من الأصوات المفخمة بإطباقها، وكل ما تقدم تحدث صوت الصفير [4]، والحاء من الأصوات المهموسة[5].

تُؤبد فيها شَعْشَعانِية الضَّحَى إذا ضاحك الشمس البحيرة والنهرا[6]

قد يحدث تفخيم الفونيم من تضعيف عين الفعل، الذي يقويه بهدف إحداث موسيقى تدل على التكثير، فعقد أبن جني صلة بين عين الكلمة المضعف والمعنى القوي بقوله" فتكرار عين الفعل بالتضعيف إنما هو زيادة في الصوت لزيادة المعنى"[7].

وقد دلوا بهذا التضعيف على تكثير الفعل نفسه، وتقيوته والمبالغة في حصوله[8]. ولابن جني سبق في هذا الموضوع يدل على مقدرة فائقة في إدراك دلالات الصوت، وهذه التعليلات خاضعة للتصور السمعي والعقلي، ولاسيما حين يعقد صلة بين أصوات الألفاظ وبين ما تدل عليه من أحداث، محاولاً الربط بين دلالة الكلمة وجرس أحد أصواتها[9].

كَفَاهُ فَضْلاً أَنِ انْتَابَتْ مَوَاطِنَهُ نعلا مليك كريم السعي مشكورا[10]

تظهر دلالة البيت هنا معنى أي يكفيه فخراً وشرفاً أنه زارَ ملك كريم فيدل على شرف المكان وعلو منزلته، فاستعمل الشاعر الفاظ تعظيم وصيغ مبالغة وصفة مشبهة، فقد وقف الصرفيون على كثير من الصيغ الدالة على ما ينطق به كصيغ المبالغة والتفضيل والصفة المشبهة، والمصادر الدالة على الامتلاء او الخلو او الاضطراب او نوع السير او الحرفة او المرض ما إليها.

إنّ الصوت هنا يعطي في كثير من الأحوال دلالة على صفة المنطوق به قوة وضعفاً، قد كان (دي سوسير) يعارض هذه الفكرة ويجعل هذه الألفاظ الدالة قليلة لا تصلح بأن تكون قاعدة يقاس عليها، لأن لغتنا العربية هي لغة الإيحاء على دلالة النطق[11].

تَقَضَّتْ حياة العيش إلا حُشَاشة إذا سألت لقياك عَلَّلْتُها ذكـــرا[12]

فقد تكرر عين الفعل في لفظة (حشاشة) فهذا التكرار بالاضطراب ويدل التكرار الصوتي اللغوي في كلمات على حالات وجدانية لإيضاح مواقف معينة فالشاعر قوي النبرة لقوة قدرتهِ وموقفهِ، كرر الشين وهو من الاحرف الشجرية إذ إنه من الأصوات الموسيقية.

إما أراء العلماء حول التكرار جاء بقول ابن جني "بتضعيف الحرف الثاني من الفعل الثلاثي لأداء معانٍ"[13]، وقد يؤدي هذا التكرار زيادة في المباني الى زيادة في المعاني، فمثلاً في لفظة (خشن ــ آخشوشن) فصيغة (افعوعل) الثانية اقوى من الصغية الأولى لما فيها من تكرار العين وزيادة الواو[14].

ومن خلال ما عقده ابن جني نجد أفعال المطاوعة تأتي بزنة (انْفَعل)، أقوى من صيغة فعل مثل (كسر ـ انكسر)، فهذه الزيادات أدت إلى تغير في المعنى بحسب ما يريده المتكلم، إما الشاعر عندما يريد إيضاح قوة الدلالة عن طريق الصوت، "وهذا كل ما تراه من قاعة زيادة المعنى لزيادة المبنى، وهي قاعدة صوتية مهمة وشهيرة في اللغة العربية"[15].

طويت الليالي طيهن وإنما طَوَينَ به عني التجلد والصبرا[16]

(1) ديوان البلنسي، 74.
(2) ينظر: فقه اللغة العربية: د. كاصد الزيدي، 450
(3) الخصاص: لابن جني، مطبعة دار الكتب المصرية، 1952م، 553/1.
(4) ينظر: شرح المفصل ابن يعيش، المطبعة المنيرية، القاهرة، 1964م، 230/10.
(5) ينظر: كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، ط2، دار الرفاعي، الرياض، 1982م، 434/4.
(6) ديوان البلنسي، 74.
(7) سر صناعة الاعراب: ابن جني، القاهرة، 1964م، 71/1.
(8) ينظر: الخصائص، 265/4.
(9) ينظر: دراسات في اللغة: كتاب المورد، 68.
(10) ديوان البلنسي، 55
(11) ينظر: دلالة الالفاظ: د. إبراهيم أنيس، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1976م، 70ـ 71.
(12) ديوان البلنسي، 102.
(13) الممتع في التصريف: ابن عصفور، تح فخر الدين قباوة، ط3، دار الافاق الجديدة ـ بيروت، 1978م، 189/1.
(14) الخصائص، 4/ 265.
(15) فقه اللغة العربية: د. كاصد الزيدي، 140.
(16) ديوان البلنسي، 99

كان الشاعر دقيقاً في اختيار ألفاظه التي يعبر عنها في شعرهِ، للتعبير عن الحالات النفسية والجسدية والاضطرابات الحسية، ليجمع الدلالة اللغوية او الدلالة الصوتية لتظهر ضرب من الإيقاع الصوتي المعبّر عن معنى من المعاني المرادة، ففي البيت الشعري نلاحظ تكرار لفظة (طوى) ثلاث مرات مع تغيير الشكل اذ يكشف التكرار عن الحالة النفسية للشاعر التي اغرقت في الشوق والحنين إلى الوطن، ليضيف إيقاعاً موسيقياً ينسجم مع دلالة البيت، فهو يحنُّ إلى صديقه، فيتذكر صفاته فيعرض لنا تلك الخصال متشوقاً اليها، وحزيناً عليه، فالرحيل لدى الشاعر لوعة وغربة شديدتان في نفس الشاعر، وعندما يرثي خلاّنه إنما يرثي نفسه وشبابه، ويلوم زمانه الذي جرّده شبابه ولم يترك له سوى الهم والحزن والبكاء على نفسهِ واصحابه.

فانقطاع الشاعر عن خلانه الذين خطفهم الموت يزيد من انعدام نفسيته، واحساسه ببطء حركة الزمن في الليل بالمقياس النفسي الذي يشعر به وليل الأسى الطويل، وليس بمقياس الزمن الموضوعي" يضاعف من عذاب الفراق وعذاب الأرق لأن الفراق والأرق يندفعان ببعضهما داخل الشاعر فيرى الليل طويلاً لا آخر له"[1].

وقالوا هل الفردوس ما قد علمته فقلت وما الفردوس في الجنة الأخرى[2]

كرَّر الرصافي لفظة (فردوس) لتأكيد المعنى، مما يضيف على البيت نغماً جميلاً، فقد أدَّت كل من الموسيقى الداخلية والخارجية للشعر الشوق، فإن الوظيفة الأساسية للبيت هي الشوق والحنين فكرر الشاعر ليبرز جمال النص الشعري، ليثير الانتباه في نفس المتلقي.

الخاتمة:

1- الفونيم وحدة صوتية دقيقة تؤثر بشكل كبير في تحديد المعنى في اللغة العربية، وتُعدّ أساسًا لبناء الكلمات وتفريقها دلاليًا.

2- اختلاف فونيم واحد في الكلمة يؤدي إلى تغيير المعنى كليًا، مثل الفرق بين (سار) و(صار)، أو (ضرب) و(طلب)، وهذا ينطبق أيضًا على شعر الرصافي البلنسي.

3– في شعر الرصافي، تبديل الحروف أو تكرارها لم يكن عشوائيًا، بل مقصودًا لخلق فرق في الإيحاء والمعنى.

4- الرصافي البلنسي وظّف الفونيمات بوعي لغوي وفني، وجعل منها أداة فاعلة في التعبير عن أفكاره ومشاعره.

5. يتّضح من شعره أن ترتيب الفونيمات داخل الكلمة لم يكن اعتباطيًا، بل خاضع لمنطق بلاغي وصوتي دقيق يخدم المعنى العام للنص.

6. التغيرات الفونيمية البسيطة مثل الإبدال أو التكرار أو الحذف أدت إلى تنوع دلالي واسع داخل شعره.

7. التراكيب الصوتية في شعره كشفت عن حسٍّ سمعي عالٍ، يدل على إدراك الشاعر لقوة الصوت في التأثير على المتلقي.

8. الفونيمات الصامتة والصائتة استُخدمت بما ينسجم مع الجو النفسي للقصيدة، ما يبيّن العلاقة بين الصوت والموقف الشعري.

9. البحث أكد أن الفونيمات ليست مجرد وحدات صوتية بل تحمل أثرًا تعبيريًا وانفعاليًا يُسهم في تفسير المعنى بطريقة أعمق.

10. علم الأصوات، وخاصة الفونولوجيا، يوفّر أدوات تحليل مهمة لفهم البنية الشعرية، ويُعيد قراءة النصوص من منظور جديد.

11. الشعر العربي عمومًا، وشعر الرصافي خصوصًا، يُظهر تلاحمًا كبيرًا بين الصوت والمعنى، مما يجعل دراسة الفونيم ذات أهمية في التحليل البلاغي والنقدي.

المصادر والمراجع:

1. أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد، كتاب النقط، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط2، 1983م.
2. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2.
3. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
4. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، دار الثقافة، بيروت، 1972م.
5. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1997م.
6. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
7. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1976م.
8. ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
9. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.
10. ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1978م.
11. ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت.
12. انتصار محمد الطياري، نظرية الفونيم في اللغة، مجلة جامعة الزاوية، المجلد الثاني، 2018م.
13. جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرمادي، الجامعة التونسية، تونس، 1961م.
14. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1988م.
15. ر. هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997م.
16. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م.
17. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، 2002م.
18. عبد المجيد مجاهد، علم اللسان العربي، الشركة العربية المتحدة، القاهرة، 2010م.

(1) مقدمة لقصيدة الغزل العربية: وحيدة عبد الحميد، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروتــ لبنان، ط1، 1992، 54.

(2) ديوان البلنسي، 66

19. عبد الله بن الحميد سويد، وعبد الله علي مصطفى، التمهيد في علم اللغة ودراسات صوتية، مراجعة: سعدون السويح، دار المدينة القديمة، طرابلس، 1993م.
20. فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللسانيات، دار وائل للنشر، عمّان.
21. كاصد الزيدي، الجرس والإيقاع في تعبير القرآن الكريم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
22. كاصد الزيدي، فقه اللغة العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان.
23. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.
24. محمد جواد النوري، فصول في علم الأصوات، مؤسسة دار الصادق الثقافية، بغداد.
25. محمد محمود عبد العزيز النحاس، علم التجويد كمدخل وقائي وعلاجي لاضطرابات النطق والكلام (التلعثم نموذجًا)، دار الكتب العلمية، القاهرة.
26. مجدي حسين أحمد شحادات، نظرية الفونيم نشأة وتطورًا، مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد السابع، 2016م.
27. ميلكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 2000م.
28. وحيدة عبد الحميد، مقدمة لقصيدة الغزل لعربية، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1992م.